المحاضرة الثانية: المصطلحات العروضية

إن لكل علم من العلوم مفرداته ومصطلحاته التي تضبط مسائله وموضوعاته وتحدد قواعده، ولا يمكن معرفة هذا العلم واستيعاب أسسه ومواضيعه إلا بمعرفة هذه المصطلحات. لذلك ينبغي أن نقدم بعض المصطلحات الأساسية الضرورية لمعرفة هذا العلم وفهم قواعده وأصوله، على أن نعالج مصطلحات أخرى في حينها. وأهم هذه المصطلحات:

الشعر أو فن الشعر:

عرّف الدارسون والنقاد القدماء فن الشعر تعريفات مختلفة تبرز عناصره ومقوماته وخصائصه الفنية. ومن بين هذه التعريفات قول قدامة بن جعفر الناقد العباسي في كتابه "نقد الشعر"، حيث يقول: "الشعر قول موزون مقفى يدل على معنى"، كما عرفه ابن خلدون بقوله "الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به."
وإذا كان تعريف قدامة موجزا محصورا في المعنى والجانب الموسيقي، وهو ما يتطلبه التعريف العروضي، فإن تعريف ابن خلدون قد جمع بين التعريف العروضي والتعريف الفني حيث أضاف الاستعارة، وهي من الصور الخيالية والصفات الفنية الأخرى التي ينطوي عليها الشعر، مما يجعل تعريفه عروضيا وفنيا في آن واحد.

القصيدة:

يرى اللغويون أن الأصل اللغوي لمفردة قصيدة مأخوذ من "القصد". والقصد من الشعر هو ما تم شطر أبياته. وقيل سمي الشعر قصيدا، لأن قائله يهتم به وينقحه ويهذبه باللفظ الشيق والمعنى المختار.
ويرى ابن رشيق القيرواني في كتاب "العمدة" أن أصل التسمية يعود إلى الغرض الذي يقصده الشاعر من إنشاء القصيدة، كأن يكون غرضا ذاتيا أو سياسيا أو اجتماعيا أو غير ذلك من الدوافع التي تدفعه إلى الإبداع.
أما من الناحية الاصطلاحية العروضية، فالقصيدة عبارة عن مجموعة من الأبيات الشعرية تتراوح بين سبعة أبيات فما فوق، وقد تبلغ مئات من الأبيات مثل المعلقات والنقائض والقصائد المدحية ويسميها بعض النقاد بالمطولات.
ويميز النقاد والعروضيون بين أنماط من القصائد طبقا للأغراض التي تتضمنها، ومنها:
أ- القصيدة المركبة: وهي القصيدة التي تتركب من أكثر من غرض، خاصة إذا ترتبت الأغراض في نظام متشاكل وتأليف ملائم، فذلك مما يحقق التجاوب والتأثير بكل ما هو منسجم العناصر أو متسق التأليف. ومن أمثلة هذه القصائد ما ذكرناه آنفا من المعلقات والقصائد المدحية والمطولات بصفة عامة.
ب- القصيدة البسيطة: وهي التي تكون مستقلة الموضوع، أي تعالج موضوعا واحدا أو غرضا واحدا، كأن يكون مدحا صرفا أو رثاء محضا أو غزلا أو غير ذلك من الموضوعات والأغراض، وهذا بغض النظر عن حجمها وطولها، فقد تطول أو تقصر طبقا للتجربة الشعرية والإمكانيات التعبيرية والفنية للشعراء.

ج -القطعة أو المقطوعة: هي عبارة عن جملة من الأبيات تتراوح بين أربعة وستة، وهذا الحجم يختلف باختلاف آراء النقاد والعروضيين، لكنهم يتفقون على الحد الأدنى والأقصى للمقطوعة وهو أربعة أبيات.

د -النتفة: هي أقل من أربعة أبيات، وقد حددها العروضيون ببيتين أو ثلاثة أبيات، يتناول فيها الشاعر خاطرة راودته أو يعبر عن شعور حاد في لحظة من اللحظات أو معنى جال بخاطره فاقتنصه دون أن يتوسع فيه. ومن أمثلة ذلك قول العباس بن الأحنف في الغزل:

أتـأذنـون لـصـب فـي زيـارتـكـــــم
فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمر السوء إن طال الجلوس به
عف الضمير ولكن فاسق النظر

وقول بشار بن برد في الدعابة مع جاريته:

ربـابـة ربـة البـيـت
تصب الخل في الزيت
لهـا عشر دجاجـات
وديـك حـسن الصـوت

ويقول العباس بن الأحنف

ملك الثلاث الآنسات عناني
وحللن من قلبي بكـل مكان
ما لي تطاوعني البرية كلها
وأطيعهن وهن في عصياني
مـا ذاك إلا أن سلطان الهوى
وبه عززن أعز من سلطاني

ه -البيت المفرد: البيت هو الوحدة الأساسية التي تبنى عليها القصيدة العربية. والبيت المفرد المستقل نادر الوجود في دواوين الشعراء القدامى، وخاصة لدى الشعراء العباسيين. وهذا راجع إلى رغبة الشعراء في توسيع دائرة القول الشعري إلى مستوى القطعة أو القصيدة، حتى يتم توضيح المراد بالتأثير في القارئ أو المتلقي.

وسنتعرض لاحقا إلى الأشكال المختلفة للبيت المفرد من حيث تمامه أو تجزئته أوشطره الخ.

ويتألف البيت التام من قسمين أو شطرين متساويين يسمى الأول منهما صدرا، والثاني عجزا.

مثال ذلك قول أبي العلاء المعري:

غير مجد في ملتي واعتقادي
صدر البيت
نوح باك ولا ترنم شادي
عجزالبيت

و -**العروض:**هي التفعيلة الأخيرة من صدر البيت.

ز -الضرب:هو التفعيلة الأخيرة من عجز البيت.

ح -**الحشو:**هو كل ما سوى العروض والضرب من صدر البيت وعجزه.

مثال ذلك قول أبي الطيب المتنبي معاتبا سيف الدولة:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
يا اعد لن ناس ال لا في م عا ملتي
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن
حشو حشو حشو عروض
في كل خ صا م وان تلخصم ول حكمو
مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن
حشو حشو حشو ضرب

ط -الوزن: هو النظام الموسيقي القائم على اختيار مقاطع صوتية معينة تدعى التفعيلات، فيحدث هذا الاختيار نغما خاصا نميز به بين شعر وآخر. والبيت الشعري أو القصيدة الشعرية تتكون من تفعيلات معينة تتكرر وفق نظام معين.

ك -البحر: ويسمى الوزن بحرا أيضا، تشبيها له بالبحر، لأن الشاعر يستطيع أن ينظم على الوزن الواحد بحرا من القصائد أو عددا لا يحصى منها.

ل -القافية: هي عبارة عن مقطع صوتي يلتزمه الشاعر في آخر كل بيت من القصيدة، فيكسبها نغمة جميلة لا نشعر بها لولا التزام ذلك المقطع. أو بتعبير آخر هي آخر مقطع صوتي في القصيدة يبنى على حرف هجائي معين يلتزمه الشاعر، فينشأ عن التزامه أو تكراره نغم موسيقي تطرب له الأذن، ويسمى هذا الحرف الأخير رويا.

ويمكن أن نعرف القافية تعريفا تقنيا فنقول: تتكون القافية من آخر ساكن في البيت، إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله.وعلى هذا لا بد من الإشارة إلى أن القصيدة تتوحد في الوزن أو البحر وفي العروض والضرب والقافية والروي، أي أن القصيدة تبنى على وزن واحد وعروض واحدة وضرب واحد وقافية واحدة وروي واحد.

ويمكن أن نمثل على ذلك بالقصيدة الميمية لأبي الطيب المتنبي والتي مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم.
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

فالقافية هنا حرف الميم